أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِن الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ
بسم الله الرحمن الرحيم
الحَمدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ؛ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ المُبَجَّلِينَ، وَصَحَابَتِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ المُحَجَّلِينَ، وَمَن تَبِعَهُم وَجَاهَدَ جِهَادَهُم إِلَى يَومِ الدِّينِ.
بَادِئَ ذِي بدءٍ:
أَشكُرُ مَشيَخَةَ الأَزهَرِ الَّتِي أَقَامَت هَذَا المُؤتَمَرَ المُهِمَّ العَتِيدَ حَولَ القُدسِ -المَدِينَةِ المُقَدَّسَةِ المُبَارَكَةِ- كَمَا أَشكُرُ فَضِيلَةَ شَيخِ الأَزهَرِ الأَخِ الدُّكتُورِ/أَحمَد الطَّيِّبِ، الَّذِي وَجَّهَ الدَّعوَةَ لِي لِحُضُورِ المُؤتَمَرِ وَلِإِلقَاءِ كَلِمَةٍ فِيهِ.
وَهَذَا المَوقِفُ مِن الأَزهَرِ الشَّرِيفِ لَيسَ غَرِيبًا؛ فَالأَزهَرُ لَهُ تَارِيخُهُ العَرِيقُ فِي مَوَاقِفِهِ الثَّابِتَةِ وَالإِيمَانِيَّةِ لِنُصرَةِ قَضَايَا الأُمَّةِ وَالمُقَدَّسَاتِ، وَعَلَى رَأسِهَا القُدسُ وَالمَسجِدُ الأَقصَى المُبَارَكُ.
أَيُّهَا العُلَمَاءُ الأَجِلَّاءُ، أَيُّهَا الحُضُورُ الكَرِيمُ - مَعَ حِفظِ الأَسمَاءِ وَالأَلقَابِ -:
إِنَّ مَوضُوعَ القُدسِ قَد أَصبَحَ حَدِيثَ العَالَمِ كُلِّهِ، فَرُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٍ، وَذَلِكَ بَعدَ الوَعدِ الثَّانِي المَشؤُومِ الَّذِي أَصدَرَهُ الرَّئِيسُ الأَمرِيكِيُّ (دُونَالدُ ترَامبُ) بَعدَ أَن كَانَت هَذِهِ المَدِينَةُ مُهَمَّشَةً، وَأَنَّ البوصلَةَ كَانَت مُنحَرِفَةً عَنهَا.
هَذَا.. وَحِينَمَا نَذكُرُ القُدسَ فَإِنَّنَا نَعنِي: فِلِسطِينَ وَالأَقصَى، وَحِينَمَا نَذكُرُ الأَقصَى فَإِنَّنَا نَعنِي: القُدسَ وَفِلِسطِينَ، وَحِينَمَا نَذكُرُ فِلِسطِينَ فَإِنَّنَا نَعنِي: القُدسَ وَالأَقصَى. فَهَذِهِ الأَلفَاظُ الثَّلَاثَةُ مُتَلَازِمَةٌ فِي دِلَالَاتِهَا؛ حَيثُ إِنَّ الآيَاتِ الكَرِيمَةَ وَالأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ لَم تَفصِل فِيمَا بَينَهَا.
أَيُّهَا العُلَمَاءُ الأَجِلَّاءُ، أَيُّهَا الحُضُورُ الكَرِيمُ:
إِنَّ مَدِينَةَ القُدسِ قَد رَبَطَهَا اللَّهُ - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ وَبِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ؛ فَيَقُولُ عزَّ وجلَّ أَوَّلَ (سُورَةِ الإِسرَاءِ): بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ: "*سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا* مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"

فَاللَّهُ العَلِيُّ القَدِيرُ قَد أَطلَقَ عَلَى المَسجِدِ الأَقصَى لَفظَ «الأَقصَى» بِمَعنَى: الأَبعَدِ مِن حَيثُ المَسَافَةِ، فَهَذَا يَعنِي أَنَّ مَسجِدًا سَيُقَامُ، يَكُونُ قَصِيًّا؛ أَي: بَعِيدًا، وَذَلِكَ اِستِئنَاسًا بِالحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسجِدِ الحَرَامِ، وَمَسجِدِي هَذَا، وَالمَسجِدِ الأَقصَى المُبَارَكِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «المَسجِدُ الحَرَامُ، وَالمَسجِدُ الأَقصَى، وَمَسجِدِي هَذَا». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، عَن الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه.

نَعَم.. إِنَّهُ الأَقصَى الَّذِي هُوَ قَطعِيُّ الثُّبُوتِ قَطعِيُّ الدِّلَالَةِ؛ فَهُوَ قَطعِيُّ الثُّبُوتِ بِالقُرآنِ الكَرِيمِ، وَبِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المُطَهَّرَةِ، وَقَطعِيُّ الدِّلَالَةِ، فَإِنَّ مِلِيَارَاتِ المِلِيَارَاتِ مِن البَشَرِ قَد أَمَّتهُ مُنذُ خَمسَةَ عَشَرَ قَرنًا وَحَتَّى يَومِنَا هَذَا. وَسَيَبقَى قَائِمًا شَامِخًا كَالطَّودِ -بِإِذنِ اللهِ تَعَالَى- إِلَى أَن يَرِثَ اللَّهُ الأَرضَ وَمَن عَلَيهَا، وَهُوَ خَيرُ الوَارِثِينَ.

وَعَلَيهِ؛ فَإِنَّنَا لَا نَلتَفِتُ إِلَى الأَصوَاتِ النَّشَازِ وَالمَشبُوهَةِ الَّتِي تُشَكِّكُ فِي مَوضُوعِ الأَقصَى.

ثُمَّ إِنَّ التَّفرِيطَ بِالأَقصَى هُوَ تَفرِيطٌ بِالمَسجِدِ الحَرَامِ وَبِالمَسجِدِ النَّبَوِيِّ، وَأَنَّ التَّفرِيطَ بِالقُدسِ هُوَ تَفرِيطٌ - أَيضًا - بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، وَبِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ.

أَيُّهَا العُلَمَاءُ الأَجِلَّاءُ، أَيُّهَا الحُضُورُ الكَرِيمُ:

لَيسَ هَذَا فَحَسبُ، فَإِنَّ القُدسَ هِيَ بَوَّابَةُ الأَرضِ إِلَى السَّمَاءِ، وَذَلِكَ بِعُرُوجِ نَبِيِّنَا الأَكرَمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِن القُدسِ إِلَى السَّمَاءِ.وَفِي سَمَاءِ القُدسِ فُرِضَت الصَّلَاةُ، الَّتِي هِيَ رُكنٌ مِن أَركَانِ الإِسلَامِ، وَهِيَ عِمَادُ الدِّينِ وَعَمُودُهُ، وَهَذَا تَكرِيمٌ لِمَدِينَةِ القُدسِ.

كَمَا أَنَّ مَدِينَةَ القُدسِ هِيَ بَوَّابَةُ السَّمَاءِ إِلَى الأَرضِ؛ حَيثُ نَزَلَ الأَنبِيَاءُ وَالمُرسَلُونَ عليهم السلام إِلَى رِحَابِ الأَقصَى، وَأَمَّ بِهِم رَسُولُنَا الأَكرَمُ مُحَمَّدٌ صلى اللَّه عليه وسلم فِي الصَّلَاةِ، فَهُوَ إِمَامُهُم، وَهُوَ -أَيضًا- خَاتَمُهُم وَقَائِدُهُم يَومَ القِيَامَةِ، وَهَذَا تَكرِيمٌ آخَرُ لِمَدِينَةِ القُدسِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى تَكرِيمِ اللهِ - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - لِنَبِيِّنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ - عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

أَيُّهَا العُلَمَاءُ الأَجِلَّاءُ، أَيُّهَا الحُضُورُ الكَرِيمُ.

هَذِهِ المَدِينَةُ المُبَارَكَةُ لَهَا بُعدُهَا السِّيَاسِيُّ العَرِيقُ الَّذِي يَتَمَثَّلُ بِاِستِلَامِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه مَفَاتِيحَ بَيتِ المَقدِسِ مِن (صِفرُونيُوس) بَطرِيكِ الرُّومِ سَنَةَ ١٥هـ ٦٣٦م. وَهِيَ المَدِينَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي تَوَلَّى الخَلِيفَةُ العَادِلُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِرضي الله عنه اِستِلَامَهَا بِنَفسِهِ، وَأَصدَرَ العُهدَةَ العُمَرِيَّةَ الشَّهِيرَةَ، وَأَنَّ الصَّحَابِيَّ الجَلِيلَ بِلَالَ بنَ رَبَاحٍ رضي الله عنه هُوَ أَوَّلُ مَن أَذَّنَ فِي رِحَابِ الأَقصَى مُعلِنًا النِّدَاءَ الرَّبَّانِيَّ: (اللهُ أَكبَرُ، اللهُ أَكبَرُ). هَذِهِ المَدِينَةُ الَّتِي نَعِمَت بِالحُرِيَّةِ وَبِالأَمنِ وَالأَمَانِ وَبِالطُّمَأنِينَةِ وَالسَّلَامِ فِي عَهدِ سَيِّدِنَا عُمَرَ رضي الله عنه.

أَيُّهَا العُلَمَاءُ الأَجِلَّاءُ، أَيُّهَا الحُضُورُ الكَرِيمُ:

وَالسُّؤَالُ: مَا حُدُودُ مَدِينَةِ القُدسِ؟

والجَوَابُ: تَتَمَثَّلُ مَدِينَةُ القُدسِ بِالبَلدَةِ القَدِيمَةِ المُحَاطَةِ بِالأَسوَارِ، وَهِيَ الَّتِي تَسَلَّمَهَا أَمِيرُ المُؤمِنِينَ الخَلِيفَةُ العَادِلُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه وَهِيَ الَّتِي تَضُمُّ فِي جَنَبَاتِهَا المَسجِدَ الأَقصَى المُبَارَكَ، كَمَا تَضُمُّ كَنِيسَةَ القِيَامَةِ الَّتِي حَافَظَ عَلَيهَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه لِأَنَّ دِينَنَا الإِسلَامِيَّ العَظِيمَ يُؤمِنُ بِالأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ جَمِيعِهِم دُونَ اِستِثنَاءٍ، كَمَا يُقِرُّ بِالتَّعَدُّدِيَّةِ، وَيَحتَرِمُ شَعَائِرَ الدِّيَانَاتِ الأُخرَى، فَلَو كَانَ فِي مَدِينَةِ القُدسِ وَقتَئِذٍ كَنِيسٌ لِليَهُودِ لَحَافَظَ عَلَيهِ عُمَرُ، مَعَ التَّأكِيدِ عَلَى أَنَّنَا لَسنَا ضِدَّ الدِّيَانَةِ اليَهُودِيَّةِ، وَإِنَّمَا نَحنُ ضِدَّ الِاحتِلَالِ، وَضِدَّ الِاستِعمَارِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَن دِينِ المُحتَلِّ أَو دِينِ المُستَعمِرِ - إِن كَانَ لَهُمَا دِينٌ-.

أَيُّهَا العُلَمَاءُ الأَجِلَّاءُ، أَيُّهَا الحُضُورُ الكَرِيمُ:

وَمَعَ مُرُورِ الزَّمَانِ وَتَعَاقُبِ الأَجيَالِ فَقَد اِزدَادَ عَدَدُ سُكَّانِ القُدسِ، وَاِتَّسَعَ العُمرَانُ؛ فَأُقِيمَت أَحيَاءٌ حَولَ البَلدَةِ القَدِيمَةِ مِن الجِهَاتِ جَمِيعِهَا: مِن الشَّرقِ، وَمِن الغَربِ، وَمِن الشِّمَالِ، وَمِن الجَنُوبِ، وَقَد أُلحِقَت هَذِهِ الأَحيَاءُ بِالبَلدَةِ القَدِيمَةِ الَّتِي هِيَ الأَصلُ، فَعَلَينَا أَن نَرفَعَ مِن سَقفِ مَطَالِبِنَا الشَّرعِيَّةِ فِي مَوضُوعِ القُدسِ، مَعَ الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ سُلُطَاتِ الِاحتِلَالِ تَنظُرُ إِلَى القُدسِ بِأَنَّهَا مُوَحَّدَةٌ، وَتَتَعَامَلُ مَعَهَا عَلَى هَذَا الأَسَاسِ؛ لِذَا فَإِنَّ القَرَارَ الأَمرِيكِيَّ الجَائِرَ بِشَأنِ القُدسِ قَد نَصَّ عَلَى أَن تَكُونَ القُدسُ عَاصِمَةً

لِإسرَائِيلَ، وَأَنَّ نَقلَ السِّفَارَةَ الأَمرِيكِيَّةَ يَكُونُ إِلَى القُدسِ، وَذَلِكَ دُونَ ذِكرٍ لِلقُدسِ الشَّرقِيَّةِ أَو الغَربِيَّةِ.
وَبِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ فَإِنَّنَا نُعلِنُ مَوقِفَنَا الإِيمَانِيَّ الثَّابِتَ بِرَفضِنَا لِلقَرَارِ الأَمرِيكِيِّ، كَمَا نَرفُضُ سَلَفًا نَقلَ سِفَارَةِ أَيِّ دَولَةٍ إِلَى القُدسِ. وَسَتَبقَى مَدِينَةُ القُدسِ فِي قُلُوبِ وَعُقُولِ وَمَشَاعِرِ وَأَحَاسِيسِ مَلَايِينِ المَلَايِينِ مِن المُسلِمِينَ فِي أَرجَاءِ المَعمُورَةِ؛ فَلَا تَنَازُلَ عَن ذَرَّةِ تُرَابٍ مِنهَا.
هَذِهِ - أَيُّهَا الإِخوَةُ الكِرَامُ - لَمَحَاتٌ حَولَ هُوِيَّةِ القُدسِ وَأَهَمِّيَّتِهَا. مُتَمَنِّيًا لِهَذَا المُؤتَمَرِ العَتِيدِ التَّوفِيقَ وَالنَّجَاحَ؛ لِإِعَادَةِ الأُمُورِ إِلَى نِصَابِهَا وَإِلَى وَضعِهَا السَّلِيمِ.. وَاللَّهُ مَعَ العَامِلِينَ.
"*وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ*" [التوبة:٢٠٥]، صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته